التَّغيرُ الصوتيُّ في ألفاظِ أسماءِ الإشارةِ
(دراسةٌ في لهجةِ تهامةَ منطقةِ الباحةِ)

د. مكين بن حوفان بن مكين القرنيّ[1]

المستخلصُ: يدرس هذا البحث التَّغير الصوتيَّ في ألفاظ أسماء الإشارة الدَّالة علىٰ المفرد بنوعيه والجمع بنوعية وما يُشار به إلىٰ المكان في لهجة تهامة منطقة الباحة، والهدف منه تحليل هذا التَّغير وتفسيره وربطه بأصوله التراثية، وقد اتبع من أجل تحقيق هذا الهدف المنهج الوصفيِّ التحليليِّ. ومن أهمِّ النتائج التي توصَّلَ إليها: تفسير مجيء الهمزة (لغة المد) مع الإشارة إلىٰ البعيد دون القريب في (ذائك> ذاءَك) التي تغيرت إلىٰ (ذاعك)، وما قيس عليها في الإشارة إلىٰ المفردة (تاءَك) التي تغيرت إلىٰ «تاعك»، وكذلك «أولئك > أولاءَك» التي تغيرت إلىٰ «ذلَّاعك»؛ بدلالة هذه الهمزة علىٰ البعد؛ وهي منقلبة عن أصل (الياء)، فتحذف مع القريب لقربه، وتعاد مع البعيد لتناسب ما تحتاج إليه الإشارة إلىٰ البعيد من مَدٍّ للصوت، كما يذهب البحث إلىٰ أنَّ ما سمَّاه اللغويون والنُّحاة لام البعد في مثل «ذلك»؛ بدل عن هذه الهمزة، لا العكس. ويرىٰ البحث أنَّ بعض التَّغييرات التي حصلت في صيغ الجمع واشتركت فيها بيئات لغويَّة مختلفة؛ قد يعود إلىٰ أصل قديم ظنًّا لا قطعًا، وأنَّ هذه الصيغ منحوتة من «ذا» و«أولاء» في مثل «ذَوْلا» ومن «ذا» و«أولئك» في مثل «ذَوْلاك» و«ذلَّاعك». ويستنتج أنَّ اجتلاب هاء السكت في اللهجة، في مثل: «ثَمَّهْ»، كان من أجل إظهار حركة ما قبلها، لا لذات الحركة، بل لتصحيح بنية المقطع الصوتيِّ. ويوصي البحثُ بإجراء المزيد من الدراسات في التَّغير الصوتيِّ المتعلق بالمبنيات في بيئة تهامة الأزد وغيرها؛ لأنَّ هناك تغيرات فيها تمتُّ إلىٰ الفصحىٰ بصلة وثقىٰ.

الكلمات المفتاحية: الأزد – الهمزة – العنعنة – السَّكْت – لام البعد.

***

(١) أستاذ اللغويات المشارك بقسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بالمخواة، جامعة الباحة.

البريد الإلكتروني: makeen.h@hotmail.com

المقدمةُ

أحمدُ ربي حمدَ الشاكرين، وأصلي وأسلم علىٰ النبيِّ الأمين، سيِّدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ أسماء الإشارة في العربية من الألفاظ التي تعرضت للتَّغير، وإن كانت - كما يذكر بعض اللغويين - من العناصر العصيَّة علىٰ التَّغير. وقد ورد هذا التَّغير في ألفاظها الدَّالة علىٰ المفرد بنوعيه، والجمع بنوعيه، وما يُشار به إلىٰ المكان كذلك.

هدفُ البحثِ:

ليس المقصود من هذا البحث ذكر اللغات (اللهجات) في أسماء الإشارة التي أوردها علماء اللغة؛ لأنَّ ذلك متضمن في كتب التَّراث، ولكنَّ الهدف منه ربطُ تغيُّرٍ رُصِدَ في استعمال ألفاظ الإشارة في تهامة منطقة الباحة يمتُّ بصلة وثقىٰ إلىٰ بعض اللغات الواردة عن العرب في استعمال أسماء الإشارة، وهذا الاستعمال يثبت الهمزة في الإشارة إلىٰ المفرد البعيد بنوعيه المذكر والمؤنث، ثم يبدلها عينًا.

أسئلةُ البحثِ:

س/ لِمَ يُمَدُّ اسم الإشارة (ذاء وتاء) مع المشار إليه البعيد دون القريب، بقلب همزته عينًا، فيقال: ذاعك وتاعك، في لهجة بعض سكان تهامة منطقة الباحة؟

س/ هل في الهمزة المبدلة عينًا دلالة البعد؟ وهل هي الأصل في هذه الدَّلالة أو أنَّها مبدلة من اللام التي سماها النُّحاة واللغويون لام البعد؟

س/ كيف أتت صيغ الإشارة إلىٰ الجمع في مثل: ذولا، وذيلا، وذلّا، وذولاك، وذلَّاك، وهاذول، وذلَّاعك بالعين المبدلة عن الهمزة؟ وهل يُشير الاتفاق بين أكثر البيئات اللغويَّة في صيغة (هاذول) إلىٰ أصل قديم مشترك؟

س/ ما تفسير اجتلاب هاء السكت في بعض صيغ الإشارة إلىٰ المكان بـ«هنا وثَمَّ»؟

منهجُ البحثِ:

سلك البحث المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ، عن طريق التأصيل للغات الواردة في أسماء الإشارة، ثم بيان التَّغير الحادث في بعض الصيغ، وتحليله، وتفسيره.

الدراساتُ السابقةُ:

لم أقف – في حدود علمي، وعن طريق بحثي في قواعد بيانات المراكز العلميَّة والمكتبات – علىٰ دراسة تناولت التَّغير الصوتيَّ في أسماء الإشارة في لهجة تهامة منطقة الباحة.

خطةُ البحثِ:

اقتضت خطة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، علىٰ النحو الآتي:

- **المبحث الأول**: التَّغيُر الصوتيُّ في أسماء الإشارة إلىٰ المفرد المذكر والمفردة المؤنثة.
- **المبحث الثاني**: التَّغيرُ الصوتيُّ في أسماء الإشارة إلىٰ الجمع والمكان.
- **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج وبعض التوصيات.

وجدير بمن يبحث في اللهجات أن يقرِّبها إلىٰ الفصحىٰ، ويُبيِّنَ التَّغيرَ الحادث فيها، ويُفسِّرهُ، ويُعيدهُ بلطفٍ وفِقْهٍ إلىٰ أصله.

والله – تعالىٰ – من وراء القصد، ومنه نستمد العون والتوفيق.

***

المبحثُ الأولُ
التَّغير الصوتيُّ في أسماء الإشارة إلى لمفرد المذكر والمفردة المؤنثة

أسماء الإشارة من المبنيات لشبهها بالحروف، وقد وُضِع كلُّ لفظٍ منها لمشار إليه، أي: لمعنىٰ مشار إليه إشارة حسية بالجوارح والأعضاء؛ لأنَّ الإشارة عند إطلاقها حقيقة في الإشارة الحسية(١)؛ ولذا عُرِّفت بأنَّها [الإيماءُ إلىٰ حاضرٍ بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة](٢).

وتستعمل اللغة العربية في الإشارة إلىٰ المفرد المذكر «ذا»، و«ذاءِ» بهمزة مكسورة بعد الألف، و«ذائِهِ» بهاء مكسورة بعد الهمزة، و«ذاؤه» بهمزة مضمومة بعدها هاء، و«آلك» بهمزة ممدودة بعدها لام ثم كاف(٣). وورد في تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد: [وقد يقال في البعيد «ذائك» بهمزة مكسورة بعد الألف](٤).

كما تستعمل العربية في الإشارة إلىٰ المفردة المؤنثة «تا»، و«تي»، و«تِهْ» بسكون الهاء وكسرها، و«ذِهِ» بكسر الهاء، و«ذي»، و«ذات»(٥). وورد في الهمع أنَّه يُشار إلىٰ المفرد المؤنث بعشرة ألفاظ، ذكر منها ما ورد آنفًا، وزاد: [«تِيك» بكسر التاء، و«تَيك» بفتحها، و«ذيك» وأنكرها ثعلب، و«تِلك» بكسر التاء، و«تَلك» بفتحها حكاهما هشام، و«تِيلِكِ» بكسر اللام والتاء، و«تالِك» بكسر اللام حكاهما الفراء](٦).

---

(١) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانويّ (١/ ١٨٩).

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٥٢).

(٣) ينظر: المساعد علىٰ تسهيل الفوائد، ابن عقيل (١/ ١٨٣).

(٤) تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد، الدماميني (٢/ ٣١١).

(٥) ينظر: شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك (١/ ١٣١).

(٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطيّ (١/ ٢٩٥)، وينظر: شرح التسهيل، ابن مالك=

ويُلحظ أنَّ أكثرَ هذه الألفاظ مبدوء بالذال أو التاء، [وخصصت الذال بهذا المعنىٰ؛ لأنَّها من طرف اللسان، والاسم المبهم مشار إليه، فالمتكلم يشير نحوه بلحظه أو بيده، ويشير مع ذلك بلسانه؛ لأنَّ الجوارحَ خَدَمُ القلبِ، فإذا ذهب القلب إلىٰ شيء ذهابًا معقولًا ذهبت الجوارح نحو ذلك الشيء ذهابًا محسوسًا. والعمدة في الإشارة في هذا الموطن علىٰ اللسان، ولا يمكن إشارة اللسان إلَّا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان، التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه، فليس إلَّا الذال أو الثاء، فأمَّا الثاء فمهموسة رخوة، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولىٰ منها للبيان، والذال مجهورة فخصه بالإشارة إلىٰ المذكر، وخصت التاء بالإشارة إلىٰ المؤنث للفرق بينهما، وكانت أولىٰ بها لهمسها؛ ولأنَّها قد تثبت علامة للتأنيث في غير هذا الباب][1].

وقد لحق نطق صوت الهمزة في اسم الإشارة «ذاء» بعض التَّغير في لهجة بعض سكان تهامة منطقة الباحة، وهم من القبائل الأزديَّة؛ ففي لهجتهم تنطق الهمزة عينًا إذا أتىٰ بعدها الكاف، فيقولون في «ذائك»: ذاعك بفتح العين، وربَّما نطقوها «ذاءَك» بفتح الهمزة ثم أبدلوا الهمزة عينًا، فقالوا: ذاعك، وإبدال الهمزة عينًا من اللغات (اللهجات) الملقبة في العربية، وتسمىٰ العنعنة[2]، ويُفسَّرُ هذا الإبدال بقرب مخرجي الهمزة والعين، إذ الهمزة من أقصىٰ الحلق والعين من الحيز

=(١/ ٢٣٩)، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيَّان الأندلسيّ (٣/ ١٨١).

(١) نتائج الفكر في النحو، السهيليّ (١٧٧-١٧٨).

(٢) وتُنسَب العنعنة إلىٰ تميم وقيس وقضاعة ومن جاورهم، وهي في الاصطلاح: [إبدال العين من الهمزة المفتوحة، فإذا كُسرت بقيت كما هي. وتقع في أول الكلمة، مثال ذلك: «عما عنت» في «أمَّا أنت»، و«عن» في «أَنْ»، و«عسلم» في «أسلم». وقد وردت في وسطها، نحو «السعف» في «السأف» و«ذُعاف» في «ذؤاف». وقد وردت أحيانًا في آخرها، نحو «الكتعة» في «الكتأة»، و«تكعكع» في «تكأكأ»]. بحوث ودراسات في اللهجات العربية، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٦/ ٥٢).

الذي يليه وهو وسط الحلق[1]، فهما حرفان حلقيان، فلقرب مخرجيهما حدث بينهما تبادل. وتذهب تفسيرات الدرس الحديث إلىٰ أنَّ إبدال الهمزة عينًا يتفق وطبيعة القبائل البدوية، فهم يرغبون في إظهار العين؛ لأنَّ العين صوت مجهور، أمَّا الهمزة فهي لا مجهورة ولا مهموسة، كما يصفها بعض المحدِّثين[2].

وهناك فرق بين «ذاءِ»، و«ذائك» من حيث الرتبة، فقد نقل الدماميني في تعليق الفرائد عن ابن قاسم أنَّه [قد يُقال – في القريب – ذاءِ بهمزة مكسورة بعد الألف، وذائه بهاء مكسورة بعد تلك الألف... وقد يُقال – في البعيد – ذائك بهمزة مكسورة بعد الألف][3]. واستشهد للإشارة إلىٰ القريب بـ«ذاء» التي تلحقها الهاء مكسورة بقول الراجز[4]:

هذائِهِ الدفترُ خيرُ دفترِ * في كفِّ قرمٍ ماجِدٍ مصدَّرِ

وبذلك يكون «ذاءِ»، و«ذائِه» للإشارة إلىٰ الواحد المذكر القريب، و«ذائِك» للإشارة إلىٰ الواحد المذكر البعيد.

وهنا تساؤلان: هل همزة «ذاء» أصلية أو منقلبة عن أصل أو زائدة؟ وهل لام البعد بدل عن الهمزة أو العكس؟

وجواب التساؤل الأول أنَّ «ذا» نفسه مختلف فيه فمنهم من يرىٰ أنَّ [أَصْله «ذَيْ»، فأَبْدَلُوا ياءَه أَلِفًا وإِن كانت ساكِنَةً، ولَمْ يَقُولوا «ذَيْ» لِئَلا يُشْبِهَ «كَيْ»، و«أَي»، فأَبْدَلُوا ياءَه أَلِفًا لِيُلْحَقَ

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/ ٤٣٤).

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٩٠)، وعلم اللغة، السعران (١٥٧، ١٧٨)، وعلم الأصوات، كمال بشر (١٧٥).

(٣) تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد، الدماميني (٢/ ٣١١).

(٤) البيت غير منسوب في تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد (٢/ ٣١١)، وهمع الهوامع (١/ ٢٩٥).

بابِ «مَتَىٰ»، و«إذا»، ويَخْرُجَ من شَبَهِ الحَرْفِ بعضَ الخُروج][1].

ونقل صاحبُ التَّاج أنَّ الذال وحدها اسم الإشارة، فقال: [وقال أَبو الهَيْثم: «ذَا» اسْمُ كلِّ مُشارٍ إليه مُعايَنٍ يَراهُ المُتكلِّم المُخاطِبُ، قال: والاسْمُ فيها الذالُ وحْدها مَفْتوحَة، وقالوا: الذالُ وَحْدها هي الاسْمُ المُشارُ إليه، وهو اسمٌ مُبْهمٌ لا يُعرَف ما هو حتىٰ يُفَسِّرهُ ما بعْدَه، كقولك: ذَا الرَّجُلُ، وذا الفرسُ][2].

ويتفق البصريون أنَّ ألف «ذا» منقلبة عن أصل، فقال بعضهم هي منقلبة عن ياء لقولهم في التصغير «ذَيَّا»، فالمحذوف العين واللام وهما ياءان (ذَيٌّ)، فيكون ثلاثي الوضع في الأصل، إلَّا أنَّهم حذفوا الياء الثانية فبقي «ذَيْ» فأبدلوا الياء ألفًا لئلا يلتحق بـ«كي»، وبعضهم يرىٰ أنَّ الألف منقلبة عن واو (ذَوَي) بفتح الواو وجعلوه من باب «شويت»؛ لأنَّه أكثر من باب «حييت»، وحُذفت اللام تأكيدًا للإبهام، وقلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها[3]. وقيل المحذوف العين وهذه الألف هي اللام[4]. واختلف في وزن «ذا» علىٰ عَدِّه ثلاثيًا، فقيل وزنه «فَعَل» بتحريك العين، وهو الأصح؛ لأنَّ الانقلاب عن المتحرك أولىٰ، وقيل وزنه «فَعْل» بسكون العين؛ لأنَّه الأصل[5].

أمَّا الكوفيون فيذهبون إلىٰ أنَّ ألف «ذا» زائدة[6]، واحتجوا بقولهم في التثنية: «ذان»، [فإنَّ

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم (ذا ١٠/ ٨٩)، وهذا رأي أبي علي الفارسيِّ كما يذكر ابن سيده في محكمه.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيديّ (ذا ٤٠/ ٤٢٢).

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباريّ (٢/ ٥٥١).

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيَّان الأندلسيُّ (٢/ ٩٧٤)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطيّ (١/ ٢٩٤).

(٥) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطيّ (١/ ٢٩٥).

(٦) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب (٢/ ٩٧٤)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع=

الألف للتثنية فلم يبق إلَّا الذال. وأجيب عن هذا بأنَّها ليست للتثنية، بل هي صيغة موضوعة للتثنية، ولـمَّا سلم أنَّها للتثنية أمكن دعوىٰ سقوط الألف لالتقاء الساكنين. ويبطل مذهب الكوفيين بأنَّه ليس في الأسماء الظاهرة القائمة بنفسها ما هو علىٰ حرف واحد][1].

وذهب السيرافيُّ ووافقه ابن يعيش وغيره إلىٰ أنَّ (ذا) ثنائي، قال ابن يعيش: [ولو ذهب ذاهب إلىٰ أنَّ «ذا» ثنائي، وليس له أصل في الثلاثية، نحو: «مَنْ»، و«كَمْ» في المبهمة وأنَّ ألفه أصل كالألف في «لدىٰ»، و«إذا»، لم أر به بأسًا لعدم اشتقاقه، وبعده عن التَّصرف][2]. ودلَّل ابن يعيش علىٰ أصلية الألف بقوله: [والذي يؤيد ذلك أنَّك لو سميت بـ«ذا»، لقلت: هذا «ذاء»، فتزيدها ألفًا أخرىٰ، ثم تقلبها همزة لاجتماع الألفين، كما تقول: «لاء»، إذا سميت بـ«لا». ولو كان أصلها الثلاثية، ولامها ياء، لكنت تقول إذا سميت به: «هذا ذاي»، فتأتي بالياء الأصلية، ولا تقلبها لوقوعها بعد ألف أصلية، كما تقول: «زايٌ»، و«رايٌ»][3].

وأمَّا همزة «ذاءِ» التي تبدل عينًا إذا أتىٰ بعدها الكاف في لهجة بعض قبائل الأزد في تهامة الباحة (ذائك > ذاءَك > ذاعك)، فقد ورد القول بزيادتها، قال الفيروز آبادي: [ذَا: إشارةٌ إلىٰ المُذَكَّرِ، تقولُ: ذَا وذاكَ، وتُزادُ لاَم، فيقالُ: ذلك، أو هَمْزَة، فيقالُ: ذائِك][4]، وهذا يعني أنَّ الهمزة ولام البعد تتعاقبان وكلاهما زائد. ويشير صاحبُ التاَّجِ إلىٰ زيادة الهمزة، وأنَّها بدل من لام

=(١/ ٢٩٤).

(١) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش (٢/ ٧٩٦)، وينظر: تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد، الدماميني (٢/ ٣١٢).

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٥٣).

(٣) المرجع السابق.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي (١٣٥١).

البعد، يقول: [فيُقالُ: ذائِكَ، هذه الهَمْزةُ بدلٌ من اللَّامِ، وكِلاهُما زائِدتَانِ][1].

وهناك من يذهب إلىٰ أنَّ همزة «ذاء» أصل، فيكون أصل «ذا»: «ذاء» علىٰ ثلاثة أحرف، ثم تأتي لام البعد عوضًا عنها، قال مكيٌّ بن أبي طالب في حديثه عن اللام في «ذلك»: [وقيل جيء بها عوضًا عن المحذوف من «ذا»؛ لأنَّ أصل «ذا» أن يكون علىٰ ثلاثة أحرف، لأنَّ أقلَّ الأسماء ما يأتي علىٰ ثلاثة أحرف، وقال علي بن سليمان: جيء باللام لتدلَّ علىٰ شدة التراخي، وكُسِرت لئلا تشبه لام الملك. وقيل: كسرت لأنَّها بدل من همزة مكسورة؛ لأنَّ أصل «ذا»: «ذاءِ» علىٰ ثلاثة أحرف بهمزة مكسورة][2].

فقول مكيٍّ إنَّ أصل «ذا» في الإشارة إلىٰ المفرد «ذاء» بالهمزة فيه دلالة علىٰ أنَّ اسم الإشارة «ذا» ثلاثي، حتىٰ وإن كانت الهمزة منقلبة عن أصل.

وقد نقل الصغانيُّ عن ابن الأنباريِّ قوله: [قامَ ذائِكَ الرجُلُ، أي: ذلك الرجلُ، وقالَ: اللامُ دَخَلَتْ بدلًا من الهمزة في ذائِك][3]، وهذا القول لا ينصُّ علىٰ أصلية الهمزة، ولكنَّه يحتمل أن تكون أصلية.

وقد أوضح مكيُّ بن أبي طالب الأصل في «ذا»، فقال: [كان أصل «ذا» أن تكون بألفين ليكون علىٰ ثلاثة أحرف، إذ هي أقلُّ أصول الأسماء، فأبدلت الألف الثانية همزة وكسرت لسكونها وسكون الألف قبلها][4].

ومراده أنَّ أصل «ذا»: «ااا» بألفين[5]، والألف ساكنة، فلمَّا اجتمع ألفان أبدلت الثانية همزة،

---

(١) تاج العروس، الزبيديّ (ذا ٤٠/ ٤٢٢).

(٢) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن ونفسيره وأحكامه، مكيّ بن أبي طالب (١/ ١٢٥).

(٣) الشوارد (ما تفرد به بعض أئمة اللغة)، الصغانيّ (٢٠٥).

(٤) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، مكيّ بن أبي طالب (١/ ١٢٦).

(٥) من المقرر صرفيًا أنَّ الألف لا تكون أصلًا لا فاء ولا عينًا ولا لامًا، فهي إمَّا زائدة أو منقلبة عن=

وحُرِّكت بالكسر؛ لالتقاء الساكنين، فقيل: «ذاءِ»، ولم يُقَل: «ذاءْ».

وفي اللهجة التي تُبدِل هذه الهمزة عينًا مع الكاف لا أراها تبقي علىٰ الكسر؛ لأنَّ التحريك بالكسر كان بسبب التقاء الساكنين علىٰ ما سلف؛ ولذا فإنَّهم يقولون: «ذاعَك» بفتح العين؛ لأنَّ العين مبدلة من همزة مفتوحة «ذاءَك». ويوضح هذا قول مكيٍّ: [ومن العرب من يقول في «ذلك»: «ذاءك» بالهمزة حكاه الفراء وغيره، قال: إنَّما أبدلوا من الهمزة لامًا؛ لأنَّ «ذاء» خرج عن لفظ المضاف، وليس بمضاف، واللام من أدوات المضاف، فأبدلوا من الهمزة لامًا وكُسِرت؛ لأنَّ الهمزة كانت مكسورة لالتقاء الساكنين][1].

فقوله: «لأنَّ الهمزة كانت مكسورة لالتقاء الساكنين»، يعني - فيما أحسب - أنَّه حين قيل: «ذاءَك» لم تعد مكسورة لزوال التقاء الساكنين، ولهذا ربَّما نُطقت «ذاءَك» بفتح الهمزة، ثم أبدلت الهمزة في اللهجة عينًا، فقيل: «ذاعَك»، وقد لا يكون هذا السبب، فتكون «ذائِك» بالكسر ثم أبدلت - في اللهجة - الكسرةُ فتحةً؛ لتناسب فتح الذال قبل الألف.

وكسر اللام لا أراه بسبب أنَّ الهمزة التي هي بدل عنها مكسورة خاصة بعد زوال التقاء الساكنين؛ ولذا [قيل: إنَّما كُسرت همزة اللام لالتقاء الساكنين؛ لأنَّها اجتلبت ساكنة، وقبلها الألف من «ذا» ساكنة، وكسرت اللام لالتقاء الساكنين][2].

وعلىٰ ما تقدم جميعه يكون اسم الإشارة «ذاءِ» بالهمزة المكسورة مما يُشار به إلىٰ المفرد المذكر القريب، ثم يأتي مع كاف الخطاب، فيُقال: «ذائِك» كما يُقال: «ذلك»، فيكون لخطاب

=أصل، وهي في مسألتنا - هنا - منقلبة عن أصل، وأصلها علىٰ الرأي البصريِّ ثلاثي (ذَوَي) أو (ذيي).

(١) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، مكيّ بن أبي طالب (١/ ١٢٦).

(٢) السابق (١/ ١٢٦).

البعيد، ثم تفتح الهمزة (ذاءَك) وتبدل عينًا في لهجة بعض قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة، فيُقال: ذاعك الجبل له قامة، وذاعك المنظر يهوِّل.

ويُرجَّحُ عند الباحث أنَّ هذه الهمزة التي أبدلت عينًا منقلبة عن أصل، وأنَّ اللام في «ذلك» بدل من هذه الهمزة لا العكس؛ لأنَّه - فيما أحسب - رُدَّ المحذوف وهو الهمزة المنقلبة عن ياء - علىٰ رأي البصريين - فطال اللفظ ليُناسب الإشارة إلىٰ البعيد، فقيل: «ذائك > ذاءَك»، ثم أبدلت الهمزة لامًا فقيل: «ذلك»، والدليل علىٰ ذلك أنَّ هذه الهمزة تُبدَل عينًا في اللهجة، فيُقال للمفرد المذكر البعيد: ذاعك.

أمَّا التَّغييرُ الذي لحق أسماء الإشارة إلىٰ المفردة المؤنثة فليس ببعيد عن التَّغييرِ الحاصل في الإشارة إلىٰ المفرد المذكر، إذ نجدهم «يقيسون» علىٰ «ذائك»: «تائك > تاءَك»، فيشيرون إلىٰ المؤنثة البعيدة بقولهم: «تاعك»، والتَّغيير فيها كالتَّغيير في «ذائك > تاءَك» تمامًا، إذ أبدلوا الهمزة عينًا، لكنَّ هذه الهمزة في (تائك) لم ترد فيما أوقفني عليه البحث من مصادر ومراجع، فالموجود فيها ممَّا يُشار به إلىٰ المفردة المؤنثة القريبة: «تا»، و«تي»، وتِه، وذِه، وذي، وذات، والبعيدة: تيك، وذيك، وتِلك، وتيلِكِ، وتالِك[1].

ولعلَّ ذلك من قياس الإشارة إلىٰ المؤنث علىٰ الإشارة إلىٰ المذكر، فكما قالوا: «ذائك > ذاءَك» ثم «ذاعك» للمذكر، قالوا: «تائك > تاءَك» ثم أبدلوا الهمزة عينًا، فقالوا: تاعك البنت مزيَّنة، وتاعك الكهلة فُرْجَة.

و«تاعك» بذلك تُستعمل في الإشارة إلىٰ المفردة المؤنثة البعيدة، فهي كـ«تالك» التي حُكيت عن العرب في قول الشاعر:

---

(١) ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ٢٣٩)، وشرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك (١/ ١٣١)، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع (١/ ٢٩٥).

تَعلَّـــمْ أنَّ بعـــدَ الغـــيِّ رُشْـــدًا ❋ وأنَّ لتالِـــكَ الغُمَـــرِ انقـــشاعا[1]

و«تالك» – هنا – أصلها «تا» ثم جيء بلام البعد وكاف الخطاب للإشارة إلىٰ البعيد، وهي في اللهجة «تاعك»، علىٰ عدهم «تائك > تاءك» كـ«ذائك > ذاءك»، وأرىٰ اللام في «تالك» عوضًا عن الحرف الثالث المحذوف من «تا»، وردوا المحذوف في الإشارة إلىٰ البعيد ليُناسب بُعْدَه، وحذفوها مع القريب لعدم حاجتهم إلىٰ إطالة اللفظ.

كما سُمِع في مركز الشّعراء بتهامة منطقة الباحة قولهم في الإشارة إلىٰ البعيد: «تِيْعك»، كانت «تيئَك» بهمزة، ثم أبدلت همزتها عينًا، وهي في الدَّلالة علىٰ البعيد كـ«تِيْلِك» التي حكاها الفراء بتاء مكسورة فياء ساكنة فلام مكسورة[2]، واستشهد لها بقول الشاعر[3]:

بأيـــةِ تيلـــك الـــدِّمَن الخـــوالي ❋ عجبـــتِ منـــازلًا لـــو تنطقينـــا

وممَّا يُشار به إلىٰ المفردة المؤنثة وحصل فيه تغييرٌ قولهم «تِيْه»، فهي «تِهْ»، ثم أشبعت كسرتها حتىٰ استحالت ياءً، أو أنَّها «تي» ثم جلبت هاء السكت، فقيل «تيه»، واجتلاب هاء السكت وارد بكثرة في لهجة بعض قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة، فتجدهم يقولون في أمي وأبي وقلمي وكتابي: أمّيْهْ وأَبيْهْ وقَلَميْهْ وكِتابيْهْ، بتسكين الياء والهاء، فيجمعون بين ساكنين في الوقف.

ويُشيرون إلىٰ البعيد أيضًا، فيقولون: «ذيك»، فمنهم من يقصد بها الإشارة إلىٰ المؤنثة، وقد يوردها بعضهم إشارة إلىٰ المذكر. وليس استعمال «ذيك» للمفردة المخاطبة بخطأ،كما توهَّمَ

(١) البيت منسوب للقطاميِّ، ينظر: تهذيب اللغة للأزهريِّ (ذا ١٥/ ٢٩)، ولسان العرب (ذا ١٥/ ٤٥٤).

(٢) ينظر: تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد، الدماميني (٢/ ٣١٤).

(٣) البيت غير منسوب في التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (٣/ ١٨٥)، وتعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد (٢/ ٣١٣).

بعض اللغويين القدامىٰ[1]، لكنَّ الخطأ استخدامها في الإشارة إلىٰ المفرد المذكر، والناس في زماننا يُخطِئون فيما نبَّه إليه الأوائل فيشيرون بـ«ذيك» إلىٰ المذكر البعيد، فيقولون: ذيك الرجل مغامر.

والصوابُ أنَّ الإشارة بـ«ذيك» للمؤنث صوابٌ، قال أبو سهل الهرويُّ: [والذي عندي أنَّ «تلك» باللام، و«تيك» بالياء، و«ذيك» بالذال والياء، كلَّها بمعنىٰ واحد، وهي لغات للعرب، وليس «ذيك» بالذال خطأ، كما زعم ثعلب والجبان وغيرهما، بل هي لغة صحيحة جارية علىٰ قياس كلام العرب... والدليل علىٰ أنَّ «ذيك» بالذال لغة صحيحة وليست بخطأٍ أنَّهم إذا حذفوا كاف الخطاب من آخرها بقيت «ذي» بذال مكسورة، وبعدها ياء، فتكون إشارة إلىٰ مؤنث][2].

ومن التَّغيرِ فيما يُشار به إلىٰ المفرد قولهم في «ذَيَّا»، و«تَيَّا» تصغير «ذا»، و«تا»: «ذِيَّهْ»، و«تِيَّهْ» بكسر الذال والتاء فيهما، وهم بذلك يُصغِّرون «تي»، و«ذي» لا «تا»، و«ذا»، ثم يبدلون الألف[3] من «ذيَّا»، و«تيَّا» هاء.

---

(١) من ذلك ما ورد في الفصيح، ثعلب (٣١٦): «وتقول: تلك المرأة، وتيك المرأة ولا يقال: ذيك [المرأة] فإنَّه خطأ»، وينظر: تهذيب اللغة، الأزهريّ (١٥/ ٢٦)، والصحاح، الجوهريّ (٦/ ٢٥٥٠)، ولسان العرب، ابن منظور (١٥/ ٤٤٩).

(٢) إسفار الفصيح، أبو سهل الهرويّ (١/ ١٤٤).

(٣) قيل عن ألف «ذيَّا» و«تيَّا» إنَّه [لما كان تصغيرهما علىٰ خلاف الأصل خولف بتصغيرهما تصغير الأسماء المتمكنة، فلم تُضم أوائلهما، بل زيد في الآخر ألف بدل الضمة بعد أن كملوا لفظ «ذا» ثلاثة أحرف بزيادة الياء علىٰ آخره... فصار «ذايا»، فأدخلوا ياء التصغير ثالثة بعد الألف كما هو حقها، فوجب فتح ما قبلها كما في سائر الأسماء المتمكنة، فقلبت الألف ياء، لا واوًا، ليُخالف بها الألفات التي لا أصل لها في المتمكنة... فصار «ذَيَيّا». أو تقول: كان أصل «ذا»: ذَيَي أو ذَوَي، قلبت اللام ألفًا، وحذفت العين شاذًا كما في سهٍ، ورُدَّت في التصغير كما هو الواجب، وزيد ياء=

وعلماء العربية المتقدمون يؤكِّدون على أن «ذي» لا يُصغَّر على «ذَيَّا»، ويُستغنىٰ عن تصغيره بتصغير «تا» على «تَيَّا»؛ لمنع التباس المذكر بالمؤنث، قال أبو علي الفارسيُّ: [يُقال للمذكر «ذا»، وللمؤنث «ذي»، فلو حُقِّر المؤنث «ذي»، لصار «ذَيَّا» فالتبس المذكر بالمؤنث، فلمَّا كانت «ذي» التي للمؤنث تؤدي في التصغير إلىٰ إلباس، حُقِّر «تا»، واستغنىٰ بها عن «ذي»][1]. وقال ابن جني: [وتقول في تحقير المبهمة، في «ذا»: «ذيَّا»، وفي «تا»، و«ذه»، و«ذي» جميعًا: «تَيَّا»][2]. وقال السيرافيُّ: [ويقال في المؤنث: «تَيَّا» علىٰ لغة من قال «هذه»، و«هذي»، و«تا»، و«تي» يرجعن في التصغير إلىٰ التاء؛ لئلا يقع لبس بين المذكر والمؤنث][3].

ومن الواضح أنَّ العلماء الأوائل أرجعوا تصغير صيغ الإشارة التي يُشار بها إلىٰ المفردة المؤنثة إلىٰ صيغة واحدة تبدأ بالتاء، فقالوا: «تَيَّا»؛ لأنَّ ما فيه الذال مما يُشار به إلىٰ المفرد المؤنث (ذي وذه) قد يلتبس تصغيره بتصغير اسم الإشارة «ذا» الذي يُشار به إلىٰ المفرد المذكر.

وقد خَطَّأ الحريريُّ تصغيرَ «ذي» علىٰ «ذيَّا»، فقال: [ومن أوهامهم أيضًا في التصغير قولهم

=التصغير بعد العين، فرجعت الألف إلىٰ أصلها من الياء كما في الفتىٰ إذا صغر، فصار ذَيَيَّا]، شرح شافية ابن الحاجب، الرضي (١/ ٢٨٤). وفي «ذَيَيَّا» ثلاث ياءات مستثقلة، فحذفوا إحداها، [فلم يكن سبيل إلىٰ حذف ياء التصغير؛ لأنَّها علامة، ولا إلىٰ حذف الياء التي بعد ياء التصغير؛ لأنَّه بعدها ألف، ولا يكون ما قبل الألف إلَّا مفتوحًا، فلو حذفوها حرَّكوا ياء التصغير، وهي لا تكون متحركة، فحذفوا الياء الأولىٰ، فبقي «ذَيَّا»، و«تَيَّا»، وحصلت ياء التصغير ثانية]، شرح المفصل، ابن يعيش (٣/ ٤٣٥).

(١) التعليقة علىٰ كتاب سيبويه، أبو علي الفارسيُّ (٣/ ٣٤٦).

(٢) توجيه اللمع، ابن الخباز (٥٦٦).

(٣) شرح كتاب سيبويه، السيرافيُّ (٤/ ٢٢٧).

في تصغير «ذي» الموضوعة للإشارة إلىٰ المؤنث: «ذيَّا»، فيخطئون فيه؛ لأنَّ العربَ جعلت تصغير «ذيَّا» لـ«ذا» الموضوعة للإشارة إلىٰ المذكر، ولم تصغر «ذي» الموضوعة للإشارة إلىٰ المؤنث علىٰ لفظها، لئلا تلتبس بتصغير «ذا»، بل عدلتْ في تصغير الاسم الموضوع للإشارة إلىٰ المؤنث عن «ذي» إلىٰ «تا»، فصغرته علىٰ «تيَّا»، كما قال الأعشىٰ:

أتشفيكَ تيَّا أم تُرِكتَ بدائِكا * وكانت قَتولًا للرجال كذلكا[1].

وهم في اللهجة يُصغِّرون «ذي» علىٰ «ذِيَّه»، بالإبقاء علىٰ كسرة الذال وإبدال الألف من «ذيَّا» هاء؛ من باب أنَّ تصغير «ذا» المشار به إلىٰ المفرد المذكر مفتوح الذال (ذَيَّا)، أمَّا ما يُشار به إلىٰ المفردة المؤنثة فهو مكسور الذال، فقالوا في تصغير «ذي»: «ذِيَّا»، ثم أبدلوا الألف هاء، فقالوا: «ذِيَّة»، فحصل الفرق بين المذكر والمؤنث بالحركة.

وأراهم في اللهجة علىٰ صواب؛ لأنَّ العربية تفرِّق بين المذكر والمؤنث في أسماء الإشارة المبدوءة بالذال، فتخص أول أسماء الإشارة الدالة علىٰ المذكر بحرف الذال مفتوحًا (ذَا، ذَاء، ذَلك)، بينما تخص أول أسماء الإشارة الدَّالة علىٰ المؤنث بحرف الذال مكسورًا (ذِه وذِي) إلَّا في (ذات)؛ لوجود التأنيث في آخرها. قال ابن منظور: [وَجَعَلُوا فَتْحَةَ الذَّالِ فَرْقًا بَيْنَ التَّذْكِيرِ والتأْنيث كَمَا قَالُوا ذَا أَخوك، وَقَالُوا ذِي أُخْتُك فَكَسَرُوا الذَّالَ فِي الأُنثىٰ، وَزَادُوا مَعَ فَتْحَةِ الذَّالِ فِي الْمُذَكَّرِ أَلفًا وَمَعَ كَسْرَتِهَا للأُنثىٰ يَاءً،كَمَا قَالُوا أَنْتَ وأَنْتِ][2].

* * *

(١) درة الغواص في أوهام الخواص، الحريريُّ (٨٣-٨٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ذا ١٥/ ٤٤٩).

المبحثُ الثاني
التَّغيرُ الصوتيُّ في أسماء الإشارة إلى الجمع والمكان

معلومٌ أنَّ العربيةَ الفصحىٰ تفرِّقُ في الإشارة بين المثنىٰ المذكر والمثنىٰ المؤنث، فتشير إلىٰ المثنىٰ المذكر بـ«هذان» في حالة الرفع و«هذين» في حالتي النصب والجر، وتشير بـ«هاتان» في حالة الرفع و«هاتين» في حالتي النصب والجر. أمَّا جمع الذكور والإناث فيُشار إليهما بـ«أولاء» و«هؤلاء» للقريب، و«أولئك» و«أولاك» و«أولالك» للبعيد(١).

وفي لهجة قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة لا تُستخدم أسماء الإشارة المثناة في العربية، وهم بذلك مثل غيرهم من قبائل العرب في زماننا؛ لأنَّ العامية بشكل عام لم تستخدم اسم إشارة خاصًا بالمشار إليه المثنىٰ، بل استخدمت مكانه اسم الإشارة الذي تستخدمه في الجمع، وهو ليس من أسماء الإشارة الخاصة بالجمع في العربية، بل هو اسم محرف تحريفًا شديدًا(٢).

وأسماء الإشارة المستخدمة للجمع بنوعيه في لهجة قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة، هي: ذولا، وهذولا، وهذولي، وهاذول، وذَيْلا، وذَلَّا، وذولاك، وهذولاك، وذلَّاك، وذلاعك. وجميع هذه الأسماء انبثقت من أسماء الإشارة إلىٰ الجمع في الفصحىٰ، وهي: «أولاء»، و«هؤلاء»، و«أولئك»، و«هؤلائك».

وعندَ النَّظرِ في هذه الأسماء الإشارية اللهجية نجد أنَّ منها ما لحقته الكاف، ومنها ما لم تلحقه؛ فما كان بلا كاف فإنَّه يُشار به إلىٰ القريب، وما لحقته الكاف فيُشار به إلىٰ البعيد، وبذلك تكون الأسماء: ذولا، وهذولا، وهذولي، وهذول، وذَيْلا، وذَلَّا للقريب، وتكون: ذولاك،

(١) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المراديّ (١/ ٤٠٩).

(٢) ينظر: تحريفات العامية للفصحىٰ، شوقي ضيف (٧٨).

وهذولاك، وذَلَّاك، وذلَّاعك للبعيد.

كما يُلحظ أنَّها جميعًا تشتمل علىٰ الذال واللام مفروقين بواو (هذولي، ذولا، ذولي، ذولاك، هذول، هذولاك) أو ياء (ذيلا) أو لام مدغمة في اللام بعدها (ذَلَّا وذَلَّاك)، وقد تَسبِق هاء التنبيه الذال، وقد لا تَسبقها.

وهذا التحليل يكشف لنا أنَّ صيغة الجمع في أسماء الإشارة في اللهجة العامية لدىٰ قبائل الأزد التهامية في منطقة الباحة منحوتة من لفظين (ذا) المستخدم للمفرد و(أولاء) المستخدم لفظًا أساسًا في الإشارة إلىٰ الجمع بنوعيه[1]؛ فأُخذت الذال من (ذا) والواو واللام والألف من (أولاء) في أغلب الصيغ، فقيل: «ذولا»، ثم يؤتىٰ بعد ذلك بكاف إن كانت الإشارة إلىٰ البعيد (ذولاك)، وقد تستبدل الواو الزائدة[2] بالياء، فيقال: (ذيلا)، وقد تستبدل بلام فيقال: (ذلَّا)[3]، وقد تأتي الهمزة بعد هذه اللام المشددة عند الإشارة إلىٰ البعيد، فيُقال: «ذلّائك > ذلَّاءَك»، ثم تبدل هذه الهمزة عينًا في اللهجة فيُقال: ذلَّاعك، وهي اللهجة المسموعة لدىٰ بعض قبائل الأزد بتهامة

(١) لا يُشترط في النحت حفظ الكلمات بتمامها أو الأخذ من كلِّ الكلمات، ولا موافقة الحركات والسكنات، لكنَّه يُشترط فيها اعتبار ترتيب الحروف، وهو متحقق - هنا - في نحت «ذولا» ونحوها من «ذا» و«أولاء».

(٢) يرىٰ الرضي الإستراباذيّ أنَّ الواو إشباع للضمة، إذ قال: «وربَّما تشبع الضمة قبل اللام نحو أولاء»، شرح كافية ابن الحاجب (٢/ ٣١-٣٢). وقبله قال ابن الحاجب: «وزادوا في (أولئك) واوًا؛ فرقًا بينه وبين (إليك)، وأُجري (أولاء) عليه، وزادوا في (أولىٰ) واوًا؛ فرقًا بينه وبين (إلىٰ)، وأجري (أولو) عليه»، الشافية في علمي التصريف والخط، ابن الحاجب (١٠٥). وقيل: إنَّ الواو زيدت في (أولاء) فرقًا بينها وبين (ألاء)، ينظر: الإبانة في اللغة العربية، الصحاريّ (٤/ ٤٨٠).

(٣) هناك من يرىٰ أنَّ الواو البديل المصطنع للام المشددة في اللغات الشقيقة للعربية (الساميات)، ينظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين (٢٩٣).

منطقة الباحة.

و«أولاء» المركبة مع «ذا» لا تأتي إلَّا مقصورة في اللهجة عدا (ذلّاعك) التي نفترض أنَّها (ذلّائك > ذلّاءَك) بإبدال الهمزة عينًا، وهي -في القصر- تتفق مع لغة تميم التي تقصر «أولاء» فتنطقها «أُوْلا»، أمَّا في (ذلّائك > ذلّاءَك > ذلاعك)، فهي تتفق مع لغة الحجازيين التي تمدُّ «أولاء»[1]. و«أولاء» بالمدِّ وكسر الهمزة في القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ (آل عمران:١١٩)، وهي قراءة الجمهور، وقرأها ابن وثاب «أُوْلا» بالقصر، دون همزة[2].

ويورد تشيم رابين أنَّ «أولاء» قد قيلت في الوصل في الحجاز (أُولي)، فلا يكون لها معنىٰ ما لم تعكس خطأً للهجة ما زالت تنطق نهاية اسم الإشارة بـ(ai – ي)، وهذه الياء موجودة في الصيغ الشقيقة للعربية (الساميات)، كالعبرية؛ إذ تشير كلُّها إلىٰ أنَّ الأصل في السامية الأم (أوليْ)، وبذلك تكون «أولاء» الفصيحة غير متوائمة مع صيغ اللغات السامية الشقيقة[3].

ويفترض تشيم رابين أنَّ ما حدث في «أولاء» هو نفس ما حدث في القراءة القرآنية: [اشترؤا الضلالة] في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ (البقرة:١٦)، وعقب بقوله: [إنَّ التَّطورَ في النبر العالي الثقيل، وفي تحطيم العلة المزدوجة إنَّما هو من أجل التَّخلصِ من المقطع المغلق الثقيل غير المنبور][4]. ومقصوده بالعلة المزدوجة – فيما أحسب – التقاء الحركة مع الحركة في وضع يؤدي نطقًا واحدًا، أو تتابع حركة

(١) ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ٢٤١)، وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيَّان (٢/ ٩٧٥).

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبيّ (٨/ ٨٨).

(٣) ينظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين (٢٩١).

(٤) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين (٢٩٢).

وشبه حركة أو شبه حركة وحركة في مقطع واحد[1]. أي إنَّ [السبب في وجود الهمز في هذا النمط (اشترؤا) ونحوها هو حذف شبه الحركة من الحركة المزدوجة الصاعدة، ثم تأتي عملية إقحام الهمزة على النحو التالي:

اشترَوُا الضلالة ← اشتر-ُا الضلالة ← اشترؤا الضلالة

الأصل حذف شبه الحركة التعويض بالهمزة

وغاية هذا التعويض صوتيَّة محضة، وهي الفصل بين الحركتين بعد سقوط شبه الحركة][2].

وربَّما أراد بالمقارنة بين همزة (اشترؤا) وهمزة (هؤلاء) أنَّ الهمزة التي تتبادل الإعلال معها الياء والواو ليست منتظمة في العربية الفصحى[3]، ولعلَّه يريد همز غير المهموز أو توهم الهمزة، أي إنَّهم همزوا واو (اشتروا) مع أنَّه غير مهموز، والعرب همزوا ما هو أولى بعدم الهمز من (اشتروا)، كما في قوله تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ (التكاثر:٦)، إذ قرئت: «لترؤنَّ»[4] بإبدال الواو همزة. وهم في هذا وما أشبهه يجرون غير اللازم مجرى اللازم[5].

والعرب تقلب الواو المضمومة همزة، لكنَّه ذلك يكون قياسًا مطردًا في الواو التي ضمتها لازمة في مثل: أُقتت في وُقتت، وأمَّا ضمة الواو في (اشتروُا) و(لتروُن) فهي عارضة لالتقاء

(١) ينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس (١١)، ودراسة الصوت اللغويِّ، أحمد مختار عمر (٤٣-٤٤).

(٢) القراءات القرآنية رؤى لغويَّة معاصرة، يحيى عبابنة (١٣٧-١٣٨).

(٣) ينظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين (٢٩٢)، الحاشية (٢) من كلام المترجم.

(٤) ينظر: المحتسب، ابن جني (٢/ ٣٧١). والقراءة نُسبت لأبي عمرو بن العلاء.

(٥) عقد ابن جني في كتابه الخصائص (٣/ ٨٩) بابًا سماه: «باب في إجراء اللازم مجرى غير اللازم وإجراء غير اللازم مجرى اللازم».

الساكنين لا لازمة[1].

والهمز يؤاخي حروف اللين، ولذا فإنَّ من العرب من يقول: [لَبَّأْتُ بالحَجِّ وحَلَّأْتُ السَّوِيْقَ - يعني بالهمز - وذلك لتآخٍ بين الهمز وحروف اللين][2]. وهمز غير المهموز قد يكون من باب الغلط، قال ابن جني: [وربَّما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز، سمعت امرأة من طيئ تقول: رثأت زوجيٰ بأبيات. ويقولون: لبّأت بالحج وحلّأت السويق، فيغلطون؛ لأنَّ «حلّأت» قد يقال في دفع العطاش من الإبل، و«لبّأت» ذهب إلىٰ اللبأ الذي يؤكل، و«رثأت زوجيٰ» ذهبت إلىٰ رثيئة اللبن، وذلك إذا حلبت الحليب علىٰ الرائب][3].

فلبّأت بالحجِّ أصله: لبَّيت: وحلّأت السويق أصله: حلَّيت[4]؛ فالهمزة منقلبة عن ياء توهمًا أو علىٰ غير قياس، وعليه يمكن القول إنَّ همزة «هؤلاء» همزة معاقبة للياء الواردة في أسماء الإشارة في الساميات الشقيقة للعربية كالعبرية، وقد تكون بالياء (أُولِيْ) أصلًا في اللغة الأم، لكنَّها غيرت في العربية الفصيحة إلىٰ الهمزة (أولاء)، والتَّغيير إلىٰ الهمزة ليس منتظمًا في العربية، فقد يهمز غير المهموز فرارًا من المقاطع التي تحتوي علىٰ حركات مزدوجة، علمًا بأنَّ للنَّحويين في همزة «أولاء» ثلاثة مذاهب: [أحدها أنَّها عن ياء وهو مذهب المبرد، والثاني: أنَّ أصلها ألف وهو مذهب الزجاج، والثالث: أنَّها أصلية غير مبدلة من شيءٍ، بل ممَّا فاؤه همزة نحو: «أجاء» و«أدآء» وهو مذهب الفارسيِّ][5]. والأقرب - فيما أحسب - أنَّ همزة «أولاء» منقلبة عن ياء؛ لأنَّها بالياء

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشريّ (٤/ ٧٩٢).

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبيّ (٧/ ٥٩١).

(٣) معاني القرآن، الفراء (١/ ٤٥٩).

(٤) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباريّ (٢/ ١٦٩).

(٥) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المراديّ (١/ ٤٠٧).

في بعض اللغات السامية الشقيقة للعربية كالعبرية[1].

وإنَّما استطردت في بيان مسألة انقلاب الهمزة عن حروف العلة علىٰ غير قياس؛ لأبيِّنَ أنَّه من غير المستبعد أن تكون الهمزة في اسم الإشارة «أولاء» منقلبة عن ياء كاللغات السامية الأخرىٰ.

ومَّما يؤكِّدُ عليه البحث أنَّ قولهم في اللهجة مشيرين إلىٰ البعيد (ذَلَّاعك) - (ذلَّائك > ذلّاءَك) فيما أحسب - يمتُّ بصلة إلىٰ اسمي الإشارة المستخدمين في الفصحىٰ: (ذا)، و(أولئك)؛ فالعامة أعرضوا عن (أولئك)، وركبوا من اسم الإشارة (ذا)، و(أولئك) اسمًا جديدًا هو (ذلَّاعك)، وكأنَّهم أسقطوا الألف من «ذا» والهمزة الأولىٰ من (أولئك)، فقالوا: (ذولئك)، ثم أبدلوا الواو لامًا وأدغموها في اللام بعدها، فقالوا: (ذَلَّئك > ذلّاءَك)، ثم أبدلوا الهمزة عينًا فقالوا: (ذلّاعك).

ووجدت همزة «أولئك» المبدلة عينًا في الصيغة اللهجية تفيد معنىٰ البعد، وجمهور النُّحاة - كما يذكر الشاطبيُّ - يرون أنَّ المدَّ في «أولاء» لا يفيد زيادة معنىٰ علىٰ معنىٰ «أولىٰ» المقصورة، إلَّا أنَّ الشلوبين خالفهم فرأىٰ أنَّ مدَّ «أولاء» قد يفيد انتقال اسم الإشارة من مرتبته التي هو فيها إلىٰ مرتبة أبعد[2]، وتابعه في ذلك ابن الضائع لكنَّه جعل ذلك من باب الأولىٰ لا علىٰ الوجوب[3].

ومع الشلوبين أتفق، فالمدُّ في اسم الإشارة يفيد بُعْد الرتبة، وعليه أقيس «ذاء» في الإشارة إلىٰ المفرد القريب، فإنِّي أرىٰ الإشارة بـ«ذاء» تدل علىٰ أنَّ المشار إليه أبعد من الإشارة بـ«ذا»؛

(١) ينظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين (٢٩١).

(٢) ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبيّ (١/ ٤١٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١/ ٤١٦).

لأنَّهما غير متساويين في القرب.

ويرىٰ الشاطبيُّ أنَّ مذهب الشلوبين مذهب مخترع، لم يسبقه إليه فيما يظنُّ أحد، وعللَّ سبب اجتراء الشلوبين علىٰ هذا القول بأنَّه ربَّما استأنس بقاعدة (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، ويرىٰ أنَّ هذه القاعدة لا تنهض دون سماع[1].

وأحسب أنَّ الشلوبين يرىٰ استطالة الصوت بالمدِّ في أسماء الإشارة أدلُّ علىٰ بُعْد المشار إليه؛ لأنَّه كما يقول ابن جني: [كلمَّا ازدادت العبارة شبهًا بالمعنىٰ كانت أدلَّ عليه وأشهد بالغرض فيه][2].

وممَّا يُشار به إلىٰ الجمع في لهجة بعض قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة قولهم: (هاذول)، وتكاد هذه الصيغة تتفق مع التَّغيير الحاصل في أسماء الإشارة المستخدمة للجمع في أكثر الأقطار العربية، إلَّا أنَّ بعضهم يبدل الذال دالًا، فيقول: (هدول) كما في بلاد الشام، و(هذول)[3] في شرق الأردن، و(ذول)، و(ذولا) في العراق، و(دول)، و(دولا) في مصر، و(هاذول) في المغرب، و(ديل) في السودان، و(ذولا) في نجد، و(هاذول) في صنعاء. ويُلحظ أنَّ اسم الإشارة في لهجات الشام والمغرب وبعض جهات اليمن يبدأ بالهاء حين يتقدم علىٰ المشار إليه[4].

إنَّ هذا الاتفاق في صيغة (هاذول) مدعاة للبحث والتساؤل، فهل يشير هذا الاشتراك إلىٰ صيغة قديمة استمرت في اللهجات المعاصرة؟

---

(١) ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبيّ (١/ ٤١٥-٤١٦).

(٢) الخصائص، ابن جني (٢/ ١٥٦).

(٣) الفرق من حيث الرسم بين (هذول) و(هاذول) أنَّ الأولىٰ تنطق بغير ألف، أمَّا الثانية ففيها ألف مدٍّ في النطق ففرق بينهما في الرسم للإيضاح.

(٤) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس (٢٠٦).

وقد أجاب عن هذا التساؤل إبراهيم أنيس، فقال: [الصفة الكلامية التي نراها الآن مشتركة بين جميع البيئات العربية الحديثة، أو حتىٰ بين معظمها، لا يمكن إلَّا أن تنتمي إلىٰ لهجة قديمة، أو مجموعة من اللهجات، انظر مثلًا إلىٰ اسم الإشارة للجمع تراه قد اتخذ صورة تكاد تكون واحدة في جميع اللهجات الحديثة، وهذه الصورة لا تمتُّ بصلة إلىٰ اسم الإشارة المألوف في اللغة النموذجية، أي (هؤلاء)، أو (أولئك). فإذا قارنا بين اسم الإشارة (هؤلاء) وهو الشائع في الأساليب الأدبية، وبين الصورة التي صار عليها اسم الإشارة في لهجات الكلام الحديثة. لا نكاد ندرك الصلة بين الصورتين، فكلٌّ منهما مستقلةٌ عن الأخرىٰ، وليست إحداهما تطورًا للأخرىٰ، بل يبدو أنَّهما صفتان مستقلتان عاشتا جنبًا إلىٰ جنب في عصور ما قبل الإسلام، وقد شاعت إحداهما في المجال الجدِّي من القول، وشاعت الأخرىٰ في لهجات الخطاب؛ والغريب أنَّ أصحاب المعاجم علىٰ كثرة ما ذكروه عن اللهجات لم يشيروا إلىٰ هذه الصيغة التي نسمعها الآن علىٰ كلِّ لسان، وكذلك النُّحاة لم يعرضوا لها في المطولات من كتبهم، فلم يقل أحدهم مثلًا إنَّ لاسم الإشارة الجمع صيغة أخرىٰ أو صورة أخرىٰ غير التي نألفها ونعهدها؛ ومع هذا لا نشك لحظة في أنَّ اسم الإشارة الجمع الشائع الآن في اللهجات الحديثة قد انحدر إليها من مصدر قديم، فليس الاشتراك فيه بين البلاد العربية وليد المصادفة، بل الأرجح أنَّها جميعًا قد استمدته من اللهجات القديمة التي نزحت إليها][1].

ويؤكِّدُ إبراهيم أنيس علىٰ أنَّ أسماء الإشارة [من العناصر العصية علىٰ التَّطورِ والتَّغيرِ، ولذلك بقيت الصورة القديمة التي كانت شائعة في لهجات الخطاب شائعة أيضًا في لهجات الكلام الآن بالبلاد العربية][2].

(١) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس (٢٠٥-٢٠٦).

(٢) المرجع السابق (٢٠٧).

ويتفق البحث مع كلام إبراهيم أنيس الآنف، الذي يرجحُّ أنَّ «هاذول» اللهجية صيغة قديمة رافقت «أولاء» الفصيحة، لكنَّ ذلك يظلُّ اجتهادًا يدخل في باب الظنِّ لا القطع، ولا ينهض ليكون دليلًا قاطعًا يُعتدُّ به في الحكم علىٰ قِدَمها فيما أحسب، كما أنَّ تحديده «نجدًا» في السعودية فقط لم يُبنَ علىٰ استقراء شامل، لوجودها في الباحة وغيرها من المناطق الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية، وكذلك تحديده صنعاء، ولعلَّه في ذلك يشير إلىٰ ذكر المكان الأبرز في البلد، ولا يقصد الاستقصاء والتحديد الدقيق.

أمَّا الإشارة إلىٰ المكان في لهجة بعض قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة، فهي في الغالب لا تخرج عن أسماء الإشارة في العربية الفصحىٰ، إلَّا أنَّها تعرضت لبعض التَّغييرِ.

ففي الفصحىٰ يُشار إلىٰ المكان القريب بـ«هُنا، وههنا»، ويُشار إلىٰ المكان البعيد بـ«هناك، وههناك، وهنالك، وثَمَّ. ومنهم من أضاف في الإشارة إلىٰ المكان البعيد: هَنَّا، وهِنَّا، وهنّت[1]، وفيه نظرٌ؛لأنَّ «هنَّا» بالتشديد، معناه: ههنا[2]، ومنه قولهم: [تجمعوا من هَنَّا ومن هَنَّا، أي من هَهُنا وهَهُنا][3].

وقد يُقال: «هَنَّاك»، و«هِنَّاك»[4]، أي هُنَاك[5]. وفي اللهجة يشيرون إلىٰ القريب بقولهم: «هِنْيَهْ»، ويُشيرون إلىٰ البعيد بـ«هناك» أو «هنْيَاك» أو «ثَمَّه».

---

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك (١/ ٣١٨)، وأوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، ابن هشام (١/ ١٤٢).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (هنا ١٥/ ٤٨٣).

(٣) الصحاح، الجوهريّ (هنا ٦/ ٢٥٦١).

(٤) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش (٢/ ٨١٤).

(٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (هنا ١٥/ ٤٨٣).

فأمَّا قولهم «هِنْيَهْ» فلعله متغير عن «هُنا» التي تبدل ألفها هاء فيقال: «هنهْ»، فقد ورد في ارتشاف الضرب: [وقد تبدل ألف «هنا» هاء في الوقف فتقول: «هنهْ»][1]، لكنَّ مجيء الياء فيها يُنبئ أنَّ «هنا» حولت إلىٰ «هني»، ثم اجتلبت هاء السكت مع تغيير في الحركات، فقيل «هِنْيَهْ» بكسر الهاء وسكون النون وفتح الياء، وفي المحكم والمحيط الأعظم: [وجاء من هَنِي، أي من هُنا][2]، وعليه قول الشاعر[3]:

وجئتُ من هَنَّا له ومن هَنِي

وأمَّا «ثَمَّ» فيكثر استخدامها في لهجة قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة لكن بإلحاقها هاء السكت، وهي بذلك موافقة للاستخدام الفصيح، وغالب نطقها بالوقف عليها، وعند الوقف ينطقونها باجتلاب هاء السكت، فيقولون: «ثَمَّهْ»، قال ابن يعيش: [وأمَّا «ثَمَّ» فإشارة إلىٰ المكان البعيد، جعلوا لفظه وصيغته تدلُّ علىٰ البعد، فلم يحتاجوا معه إلىٰ قرينة من كاف خطاب أو لام، إذ نفس الصيغة تدلُّ علىٰ ذلك... وكان أصلها أن تكون ساكنة، وإنَّما حركت لالتقاء الساكنين، وهما الميمان في آخرها، وفتحت طلبًا للخفة لاستثقال الكسرة مع التضعيف، فإذا وقفت عليها، إن شئت، ألحقتها هاء السكت، فقلت: «ثَمَّهْ»، وإن شئت، لم تأت بها، وقلت: «ثَمَّ»][4].

والإتيان بهاء السكت في اللهجة غرضه تصحيح البنية المقطعية لاسمي الإشارة «هني > هِنْيَهْ»، و«ثَمَّ > ثَمَّهْ»، فـ«هُنا» و«ثَمَّ» من المبنيات، وهاء السكت تلحق المبني جوازًا لا وجوبًا، كـ«ياء المتكلم»، و«هو»، و«هي»، في مثل «غلاميَهْ»، و«هوَهْ»، و«هيَهْ»[5].

---

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيَّان (٢/ ٩٨٢).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (هنا ٤/ ٣٨٣).

(٣) شطر البيت غير منسوب في المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٨٣).

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٧٠).

(٥) ينظر: التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الأزهريّ (٢/ ٦٣٥).

ويذكر الإستراباذيُّ أنَّ ما قبل آخره ساكن أولىٰ بلحاق هاء السكت مما قبل آخره متحرك، وذلك مثل «إنَّهْ»، و«ليْتَه»[1]. و«ثَمَّ» بذلك منسجمة مع هذا الأَوْلىٰ، وأمَّا «هُنا>هَنِيْ>هِنْيَة» فقد طوعتها اللهجة ليكون قبل آخرها ساكنًا، وربَّما كانت «هَنِيْهْ»[2] بالجمع بين صوتين صامتين (ص ح ص ص)، وهو مقطع مقبول في الوقف[3] إلَّا أنَّ فيه صعوبة، وتكمن صعوبته في التقاء الساكنين دون فاصل بينهما[4]. وقد تخلصوا من هذه الصعوبة بالنقل، ولكن ليس علىٰ المنهج المعروف بنقل حركة الآخر الصحيح إلىٰ الساكن قبله[5]، بل تخلصوا من صعوبة هذا المقطع (ص ح ص ص) [بإقحام حركة قصيرة بين الصامتين في المقطع؛ أي قبل الصامت الأخير، وبالتالي ينقسم المقطع ليصبح مقطعين من نوع «ص ح + ص ح ص»][6]. وهذه الحركة القصيرة هي التي جيء بهاء السكت من أجل إظهارها عند القدامىٰ[7]، أي حركة الياء في (هنِي)، وكأنَّ ياء «هنيْ» الساكنة كانت محركة بالفتح «هنيَ»، فجيء بهاء السكت من أجل إظهارها، وقد حدث التَّغيير في «هني»، وفق الآتي:

---

(١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي (٢/ ٢٩٨).

(٢) هكذا تنطق لدىٰ بعض القبائل الأزدية في البيئات المجاورة لبيئة قبائل سكان الأزد في تهامة الباحة، كقبائل بلقرن.

(٣) ينظر: المنهج الصوتيَّ للبنية العربية، عبد الصبور شاهين (٤٢).

(٤) ينظر: هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، عبيدات، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، (مج١٨)، (ع٢)، يونيو ٢٠١٠م، (ص٨٢٧).

(٥) مثل قراءة أبي عمرو بن العلاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (البلد: ١٧) بكسر الباء من كلمة «الصبر»، ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن، ابن خالوية (١٧٤).

(٦) هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، عبيدات (٨٢٨).

(٧) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/ ١٦٣).

هَنِي > هِنِيْهْ (بإتباع حركة الهاء حركة النون وتسكين الياء واجتلاب الهاء)، فلمَّا اجتمع الساكنان عمد الناطق إلىٰ تحريك الساكن الأول (الياء) وتسكين ما قبله (النون)؛ لأنَّ ما قبل آخره ساكن أدعىٰ لاجتلاب هاء السكت، فتشكَّل لدينا مقطعان يمكن النطق بهما بسهولة: (هِنْـ + يَهْ)، وكلاهما (ص ح ص)، وهو أسهل للناطق من المقطع (نِيْهْ: ص ح ص ص). وعليه فإنَّ اجتلاب هاء السكت في مثل «هِنْيَه» المتحولة عن «هِنِيْهْ» كان من أجل تصحيح البنية المقطعية للكلمة.

ويذهب إبراهيم أنيس إلىٰ أنَّ هاء السكت مظهر من مظاهر إقفال المقاطع المفتوحة في الوقف، وميَّز بين نوعين من إقفال المقاطع المفتوحة لدىٰ القبائل العربية، فذكر أنَّ البدو كانوا يقفون علىٰ المقطع المفتوح بالهمز، أمَّا الحضر فيقفون بالهاء[1].

وعلَّل أحمد سليمان ياقوت اجتلاب هاء السكت بأنَّ حرف اللين قبل هاء السكت التي سمَّاها هاء الاستراحة إنَّما هو من الصوائت (حركات وحروف مَدٍّ)، وعند النطق بها يندفع الهواء في مجرىٰ مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانًا، دون أن يكون مسموعًا فإذا نطق الإنسان بصوت الهاء بعد ذلك، أي بعد نطقه بحرف اللين كان ذلك إراحة لَنَفَسِهِ الذي كان يجري دون عائق، إراحة له من الامتداد إلىٰ ما لا نهاية؛ ذلك أنَّ نطقه بصوت الهاء يمكنه من أن يضيق مجرىٰ الهواء تضييقًا، ينتج عنه الاحتكاك أو الحفيف، ويصاحب ذلك بطبيعة الحال إراحة للإنسان من امتداد نَفَسِه مع حرف اللين[2].

والتعليلُ الذي يراه البحث هو ما ذهب إليه محمود عبيدات من أنَّ اجتلاب هاء السكت من أجل إظهار حركة ما قبلها كما يذهب القدامىٰ، غير أنَّ إظهار الحركة لم يكن مقصودًا في ذاته، إنَّما كان من أجل تصحيح بنية المقطع العربيِّ[3].

---

(١) ينظر: الأصوات اللغويَّة (٩٦-٩٧).

(٢) ينظر: الهاء في اللغة العربية، أحمد سليمان ياقوت (١٤).

(٣) ينظر: هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، عبيدات (٨٣٤).

الخاتمةُ

يمكنُ ختم هذا البحث بإبراز أهم النتائج، وإيراد بعض التوصيات، وذلك علىٰ النحو الآتي:

- يُرجِّحُ البحثُ أنَّ مدَّ (ذاء) له قيمة معنوية، فهو وإن كان مثل «ذا» في الإشارة إلىٰ الرتبة القريبة إلَّا أنَّ في المدِّ زيادة تفيد بعد المشار إليه؛ لأنَّ القريب متفاوت القرب؛ منه القريب جدًا ومنه الأبعد قربًا. ولذا فإنَّه يُرجَّحُ أن تكون هذه الهمزة أصلًا في الدَّلالة علىٰ البعد، وأن تكون اللام في (ذلك) ونحوها بدلًا منها.

- لعلَّ عدم استعمال لام البعد في اللهجة، وتعويضها بالعين المبدل عن الهمزة في الإشارة إلىٰ البعيد مع الكاف في لهجة بعض قبائل الأزد في تهامة منطقة الباحة؛ يؤيد أنَّ الهمزة المبدلة عينًا تدلُّ علىٰ البعد، وقد ورد استعمالها مع المفرد بنوعيه (ذاعك وتاعك)، ومع صيغة الجمع المنحوتة من «ذا»، و«أولئك»: «ذَلَّاعك».

- يذهبُ البحث إلىٰ أنَّ بعض التَّغييرات التي حصلت في صيغ الجمع قد تعود إلىٰ أصلٍ قديمٍ لكن علىٰ سبيل الظنِّ لا القطع، كما يرىٰ أنَّ هذه الصيغ منحوتة من «ذا»، و«أولاء» في مثل «ذولا»، ومن «ذا»، و«أولئك» في مثل «ذولاك»، و«ذلَّاعك».

- يُرجِّحُ البحثُ أنَّ اجتلاب هاء السكت في اللهجة، في مثل «هِنَيْهْ»، و«ثَمَّهْ» كان من أجل إظهار حركة ما قبلها، لا لذاتها بل من أجل تصحيح بنية المقطع الصوتيِّ.

- ما ذهبَ إليه بعض اللغويين من أنَّ أسماء الإشارة عصيَّة علىٰ التَّغير لا أراه دقيقًا، فقد تجلَّىٰ من خلال البحث كثرة التَّغيرِ فيها، سواء كان هذا التَّغيرُ في الإشارة إلىٰ المفرد أم الجمع أم المكان.

- لم يرد في اللهجة استعمال أسماء الإشارة إلىٰ المثنىٰ بنوعيه، وهذا تغيرٌ لهجيٌّ نازل وغير

مقبول؛ لأنَّ التثنية ممَّا مَيَّزتْ به العربية صيغها، بل تميَّزت بها علىٰ اللغات من غير العائلة السامية، وأمَّا شقيقاتها الساميات فللتثنية فيها شواهد قليلة، وهذا دليل علىٰ أنَّ التثنية أصل موروث في اللغة السامية الأم، وقد وثَّقها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والمسموع من كلام العرب منظومة ومنثورة في عصور الاحتجاج.

التوصيات:

يوصي البحث بإجراء المزيد من الدراسات في التَّغيراتِ المتعلقةِ بالمبنيات في بيئة تهامة الأزد وغيرها؛ لأنَّ هناك تغيراتٌ فيها تَمتُّ إلىٰ الفصحىٰ بصلة وثقىٰ.

***

فهرس المصادرِ والمراجعِ

(١) الإبانة في اللغة العربية، الصحاريّ، سلمة بن مسلم العوتبيّ، تحقيق: عبد الكريم خليفة وآخرين، ط١، مسقط: وزارة التراث القوميّ والثقافة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيَّان، محمد بن يوسف الأندلسيُّ، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجيّ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٣) إسفار الفصيح، الهرويّ، محمد بن علي، تحقيق: أحمد سعيد قشاش، ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

(٤) الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس، ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

(٥) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، الحسن بن أحمد، (د. ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م.

(٦) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٧) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعيّ، (د. ط)، (د. م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

(٨) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيديّ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضىٰ، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. ط)، (د. م): دار الهداية، (د. ت).

(٩) تحريفات العامية للفصحىٰ في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

(١٠) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيَّان، محمد بن يوسف الأندلسيُّ، تحقيق: حسن هنداويّ، ط١، دمشق: دار القلم، دمشق، ودار كنوز إشبيليا، (د. ت).

(١١) التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الأزهريّ، خالد بن عبد الله، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(١٢) التعليقة علىٰ كتاب سيبوية، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسيُّ، تحقيق: عوض بن حمد القوزيّ، ط١، (د. م): (د. ن)، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(١٣) تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد، الدماميني، محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المفدىٰ، ط١، (د. م): (د. ن)، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(١٤) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، ط١، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨هـ.

(١٥) تهذيب اللغة، الأزهريّ، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

(١٦) توجيه اللمع، ابن الخباز، أحمد بن الحسين، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، ط٢، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(١٧) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المراديّ، بدر الدين حسن بن قاسم، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط١، (د. م): دار الفكر العربيّ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

(١٨) الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ت).

(١٩) دراسة الصوت اللغويِّ، عمر، أحمد مختار، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦م.

(٢٠) درة الغواص في أوهام الخواص، الحريريّ، القاسم بن علي، تحقيق: عرفات مطرجي، (د. ط)، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٢١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبيّ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق: دار القلم، (د. ت).

(٢٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباريّ، محمد بن القاسم بن بشار، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢٣) الشافية في علمي التصريف والخط، ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م.

(٢٤) شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك الطائيّ، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط١، (د. م): هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٢٥) شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ الهمدانيّ المصريّ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٢٦) شرح كافية ابن الحاجب، الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذيّ، ط٢، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢٧) شرح كتاب سيبويه، السيرافيّ، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٨م.

(٢٨) شرح شافية ابن الحاجب، الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذيّ، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٢٩) شرح الكافية الشافية، ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك الطائيّ، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريديّ، ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ، (د. ت).

(٣٠) شرح المفصل، ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش، قدم له إميل بديع يعقوب، ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٣١) الشوارد (ما تفرد به بعض أئمة اللغة)، الصغانيّ، رضي الدين الحسن بن محمد، تحقيق: مصطفىٰ حجازيّ، ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهريّ، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٣٣) علم الأصوات، بشر، كمال، (د. ط)، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

(٣٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، السعران، محمود، (د. ط)، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د. ت).

(٣٥) الفصيح، ثعلب، أحمد بن يحيىٰ، تحقيق: عاطف مدكور، (د. ط)، (د. م): دار المعارف، (د. ت).

(٣٦) في اللهجات العربية، أنيس، إبراهيم، (د. ط)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة أبناء وهبة حسان، (د. ت).

(٣٧) القاموس المحيط، الفيروز آباديّ، محمد بن يعقوب بن محمد، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٣٨) القراءات القرآنية رؤىٰ لغويَّة معاصرة، عبابنة، يحيىٰ، (د. ط)، إربد: دار الكتاب الثقافيِّ للنشر، (د. ت).

(٣٩) الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام هارون،ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجيّ، ١٩٨٢م.

(٤٠) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانويّ، محمد بن علي، تحقيق: علي دحروج، ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.

(٤١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشريّ، محمود بن عمر، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربيِّ، ١٤٠٧هـ.

(٤٢) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

(٤٣) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، رابين، تشيم، ترجمة عبد الكريم مجاهد، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م.

(٤٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (د. ط)، (د. م): وزارة الأوقاف، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٤٥) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٤٦) المساعد علىٰ تسهيل الفوائد، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ الهمدانيّ المصريّ، تحقيق: محمد كامل بركات، (د. ط)، مكة المكرمة: مطبوعات جامعة أم القرىٰ، ١٤٠٠هـ-١٤٠٥هـ.

(٤٧) معاني القرآن، الفراء، يحيىٰ بن زياد، تحقيق: أحمد يوسف النجاتيّ وآخرين، ط١، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، (د. ت).

(٤٨) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبيّ، إبراهيم بن موسىٰ، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، مكة المكرمة: معهد البحوث العلميَّة وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أم القرىٰ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٤٩) المنهج الصوتيُّ للبنية العربية، شاهين، عبد الصبور، (د. ط) بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.

(٥٠) نتائج الفكر في النحو، السهيليّ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٥١) هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، عبيدات، محمود مبارك عبدالله، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، غزة، مج ١٨، ع٢، يونيو ٢٠١٠م

(٥٢) الهاء في اللغة العربية، ياقوت، أحمد سليمان،ط١، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.

(٥٣) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، القيسي، مكيّ بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلميّ، ط١، الشارقة: جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٥٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، (د. ط)، مصر: المكتبة التوقيفية، (د. ت).

* * *